

أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم

قف : ومن الناس من ينكر التصنيف في هذا الزمان مطلقا ولا وجه لإنكاره من أهله وإنما يحمله عليه التنافس والحسد الجاري بين أهل الأعصار و[] در القائل في نظمته : .
قل لمن لا يرى المعاصر شيئا ... ويرى للأوائل التقديما .
إن ذاك القديم كان حديثا ... وسيبقى هذا الحديث قديما .
واعلم أن نتائج الأفكار لا تقف عند حد وتصرفات (1 / 195) الأنظار لا تنتهي إلى غاية بل لكل عالم ومتعلم منها حظ يحزره في وقته المقدر له وليس لأحد أن يزاحمه فيه لأن العالم المعنوي واسع كالبحر الزاخر والفيض الإلهي ليس له انقطاع ولا آخر والعلوم منح إلهية ومواهب صمدانية فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما لم يدخر لكثير من المتقدمين .
فلا تغتر بقول القائل : (ما ترك الأول للآخر) بل القول الصحيح الظاهر : (كم ترك الأول للآخر) فإنما يستجاد الشيء ويستردل لجودته ورداءته في ذاته لا لقدمه وحدوثه .
ويقال : ليس كلمة أضر بالعلم من قولهم ما ترك الأول شيئا لأنه يقطع الآمال عن العلم ويحمل على التقاعد عن التعلم فيقتصر الآخر على ما قدم الأول من الظاهر وهو خطر عظيم وقول سقيم فالأوائل وإن فازوا باستخراج الأصول وتمهيدها فالأواخر فازوا بتفريع الأصول وتشبيدها كما قال A : (أمتي أمة مباركة لا يدري أو لها خيرا وآخرها) وقال ابن عبد ربه في (العقد) (إنني رأيت آخر كل طبقة واضعي كل حكمة ومؤلفي كل أدب أهدب لفظا وأسهل لغة وأحكم مذاهب وأوضح طريقة من الأول لأنه ناقص متعقب والأول باد متقدم) انتهى